﴿وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾﴾ [الأحزاب: 29]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

تـخـيـيرُ أزواج النَّبـيِّ الكريم بين متاع الدنيا وأجـر الآخـرة العظيم

لـمّا أمر الله نبيَّه ﷺ بتخيير أزواجه بين خصلتين، ولمّا ذكر في الآية السّابقة أولاهنَّ؛ ذكر في هذه الآية الثانية منهنَّ تتميمًا للتَّقسيم[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿أَعَدَّ﴾: (عدّ) أصلٌ صحيح واحد لا يخلو من العدِّ الذي هو الإحصاء، والإعداد الَّذي هو تهيئة الشَّيء، والمقصود هنا الثّاني، فالعُدَّةُ ما أُعِدَّ لأمر يحدُثُ، وأصل العُدَّة: الشَّيء المعدُّ المدَّخَر، أي: شيء كثير يُعَدُّ من مالٍ وسلاحٍ وغيرهما، يقال: أعددت الشَّيءَ أُعِدُّهُ إعدادًا، واستعددت للشَّيء، وتعدَّدتُ لهُ، وأعدَدْتُ الشَّيءَ: هَيَّأْتُهُ[2]، فمعنى قوله سبحانه: ﴿أَعَدَّ﴾، أي: هَيَّأ في الآخرة.

2) ﴿أَجْرًا﴾: (أجر) تدور تصاريفها على معنى: الكِراء على العمل، وجَبْر العظم الكسير، وبين هذين المعنيين نظام يجمعهما، وذلك أنَّ الأُجرَةَ بمنزلة الشَّيء الذي يُجبَر به حال العامل مقابل ما أصابه من كدٍّ وجهد في عمله[3]، والأَجْرُ: ما يعود مِن ثواب العمَلِ دنيويًّا كانَ أو أخرويًّا، ولا يُستعمَلُ إلّا في النَّفْعِ دون الضُّرِّ[4]، قال الخليل: الأجر جزاء العمل[5]، والأَجْرُ المذكور في الآية: هو الثَّوابُ الأخرَويُّ في مقابل العمل الدنيويِّ.

(1) الهرريّ، حدائق الروح والريحان: 22/ 486.
(2) الخليل، العين، وابن فارس، مقاييس اللغة، والرّاغب، المفردات، والسّمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (عدد).
(3) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (أجر).
(4) الرّاغب، مفردات ألفاظ القرآن الكريم: (أجر).
(5) الخليل، العين: (أجر).

3) ﴿عَظِيمًا﴾: (عظم) أصلٌ واحد صحيح يدلُّ على كِبَرٍ وقوَّةٍ، والعِظَم: مصدر الشَّيء العظيم، عَظُمَ الشَّيء عِظَمًا؛ فهو عظيم، والعَظامَةُ: مصدرُ الأمرِ العظيم، وعَظَّمَهُ يُعَظِّمُهُ تعظيمًا، أي: كبَّره، ومُعظَم الشَّيء: أكثره، وسُمّيَ العَظْمُ بذلك لقوَّته وشدَّته، وقال بعضهم: عَظُمَ الشَّيءُ، أصله: كَبُرَ عَظْمُهُ، ثم استُعير لكلِّ كبير، فأُجري مجراه محسوسًا كان أو معقولًا، عينًا كان أو معنًى[1]، ومعنى الأجر العظيم في الآية: الكبيرُ في الذّات، الحسن في الصِّفات، الباقي في الأوقات[2].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

ترغيبُ الأزواج في الصَّبر مع النَّبيِّ الكريم والفوز بالثواب العظيم

يأمر الله سبحانه نبيَّه الكريم ﷺ أن يقول لأزواجه اللّاتي اجتمعن عليه: وإن كنتنَّ تردْنَ رضا الله ورضا رسوله وما أعدَّ الله لكُنَّ في الدّار الآخرة من النَّعيم المقيم؛ فاصبرْنَ على ما أنتُنَّ عليه، وأطعن الله ورسوله، فإنَّ الله أعدَّ للمحسنات منكنَّ ثوابًا عظيمًا[3].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

دلالة الواو في قوله: ﴿وَإِن كُنتُنَّ﴾:

التشريك في الحكم بين التخييرين

وُصِلَ قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ﴾ بقوله تعالى: ﴿إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا﴾ بحرف الواو الدالِّ على الجمع والاقتران؛ لأنَّه من عطف القسيم على قسيمه، فقد أمر الله نبيَّه ﷺ أن يخيِّر أزواجه بين خصلتين تقدَّم ذكر أولاهنَّ، وعطف في هذه الآية ثانيتهنَّ.

بلاغة تكرار (إن) في موضعي التَّخيير:

صعوبة الاختيار وتردُّد صاحبه

تَكرار (إن) في قوله تعالى: ﴿إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا

(1) الخليل، العين، وابن فارس، المقاييس، والرّاغب، المفردات: (عظم).
(2) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 25/ 165.
(3) نخبة من العلماء، التّفسير الميسر، ص: 421.

وَزِينَتَهَا﴾، وقوله: ﴿وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ﴾، يشير إلى صعوبة الاختيار، فكلٌّ منهما له جانب يُشدُّ الإنسان إليه، فإذا أضفنا إلى ذلك، خصوصيَّة المرأة التي لها تعلُّق كبير بزينة الدنيا ﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِي ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾﴾ [الزخرف: 18]، فإنَّها تتجاذبها زينتها التي نشأت فيها من جهة، والإيمان الذي يثبت في قلبها من جهة أخرى، ثم إنَّ المرأة ينتابها نوعٌ من التردُّد، فلكلٍّ ذلك وغيره، ناسب الإتيان بـ(إن) في الموضعين.

دلالةُ التَّعبير بقوله: ﴿كُنتُنَّ﴾:

رسوخُ صفة حبِّ الله ورسوله في أزواج النَّبيِّ

استُعمل في قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ﴾ الفعلُ ﴿كُنتُنَّ﴾؛ للدِّلالة على رسوخ الصفة في الموصوف، بمعنى: أنَّ النَّبيَّ ﷺ يقول لأزواجه: إن كانت إرادة رضا الله ورسوله وأجر الآخرة من أوصافكنَّ الرّاسخة؛ فأبشرن بالأجر العظيم، وقد اخترن رضوان الله عليهن رضا الله ورسوله ﷺ.

دلالةُ حذف المضاف في الآية:

اختيارُ الله ورسوله والدّار الآخرة هو الدّين

ورد في قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ﴾ إيجازٌ بالحذف تقديره: إن كنتنَّ تردن رضا الله ورسوله والفوز بالدّار الآخرة، فالكلامُ على حذف مضاف يقتضيه السّياق، وإرضاء الله: فعل ما يحبُّه الله، ويقرِّب إليه، وإرادة رضا الرَّسول ﷺ كذلك على تقدير: كلّ ما يرضي الرَّسول ﷺ، وأوَّل ذلك أن يَبْقَينَ في عشرته طيِّبات الأنفس[1]، وفي ذلك أيضًا إعلامٌ لهنَّ بأنَّ في اختيار النَّبي ﷺ اختيارَ للهِ والدّار الآخرة وهذه الثّلاثة هي الدّين[2].

دلالةُ تعليق الإرادة بأسماء الأعيان:

جرى أسلوب الكلام في قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 21/ 317.
(2) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 25/ 165.

قضاءُ حقِّ الإيجاز بعد قضاء حقِّ الإعجاز

﴿وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ﴾ على إناطة الحكم بالأعيان، وهو أسلوبٌ يقتضي تقديرًا في الكلام من قبيل دلالة الاقتضاء، وفي حذف المضافات وتعليق الإرادة بأسماء الأعيان الثلاثة مقصد أن تكون الإرادة متعلِّقة بشؤون المضاف إليه التي تتنزَّل منزلةَ ذاته مع قضاء حقِّ الإيجاز بعد قضاء حقِّ الإعجاز[1].

دلالةُ عطف ﴿وَرَسُولَهُۥ﴾ على اسم الجلالة:

إرضاءُ النَّبيِّ ﷺ إرضاء لله سبحانه

عُطِفَ في قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ ذِكرُ الرَّسول ﷺ على اسم الله الكريم؛ للإيذان بكرامته ﷺ عند ربِّه، وأنَّ إرضاء النَّبيِّ ﷺ إرضاء لله سبحانه، كما قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرۡضُوهُ إِن كَانُواْ مُؤۡمِنِينَ ٦٢﴾ [التوبة: 62].

دلالةُ الإضافة في قوله: ﴿وَرَسُولَهُۥ﴾:

تعظيمُ قدر الرَّسول وتشريف منزلته بإضافته إلى مرسِله

أضيف في قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ لفظُ (الرَّسول) إلى مرسِله، وهو الله سبحانه؛ تعظيمًا لقدر هذا الرَّسول وتشريفًا لمنزلته، فإضافة الأعيان إلى الله للتشريف كبيت الله، وناقة الله ... الخ[2]، وفيه إيماء إلى زوجاته بوجوب تعظيم الرَّسول ﷺ والمسارعة إلى مرضاته، وأوَّلُ ذلك أن يَبْقَينَ في عشرته طيّبات الأنفس[3].

سرُّ عطف إرادة الدّار الآخرة:

الفوز بالدّار الآخرة ثواب طاعة الله ورسوله

عُطِفَ في قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ﴾ ذِكرُ إرادة الدار الآخرة على إرادة الله ورسوله للإيماء إلى أنَّ ثواب طاعة الله ورسوله سيكون بالفوز بالدار الآخرة بدخول الجنَّة والنَّجاة من النّار.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 21/ 317.
(2) ابن أبي العزّ، شرح الطحاوية، ص: 129.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 21/ 317.

بلاغةُ المقابلة في الآية:

التَّعلُّقُ بالدُّنيا الدَّنيَّة يُشغل المؤمن عن الآخرة العَليَّة

تتجلّى بين قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ﴾، وقوله تعالى: ﴿إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا﴾، مقابلةُ إرادةِ الله ورسوله والدّار الآخرة بإرادة الحياة الدُّنيا وزينتها، فإنَّ المقابلة تقتضي إرادتين يجمع بينهما، والتعلُّق بالدُّنيا يستدعي الاشتغال بأشياء كثيرة من شؤون الدُّنيا لا محيص من أن تلهي صاحبها عن الاشتغال بأشياء عظيمة من شؤون ما يرضي الله، وما يرضي رسوله ﷺ، وما يُكسب الفوز في الآخرة، والمعنى: إن كنتنَّ تؤثرن ما يرضي الله، ويحبُّه رسوله وخير الدّار الآخرة؛ فاخترن ذلك على ما يُشغل عنه، فالنّاس متسابقون في هذا المضمار وأولاهم بقصب السَّبق فيه أشدُّهم تعلُّقًا بالرَّسول ﷺ، وكذلك كانت هِمَمُ أفاضل السلف، وأولى النّاس بذلك أزواج الرَّسول ﷺ[1].

سرُّ دخول الفاء على الجملة الاسميَّة:

الأجرُ العظيم جزاء إرادة رضا الله ورسوله والدّار الآخرة

عُطِفَ قولُهُ تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ على ما قبله، وهو قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ﴾ بحرف الفاء ربطًا للجزاء بالشرط؛ دليلًا على أنَّه سببه، والغرض البلاغيُّ منه: إنَّما هو تعليق مضمون الجواب على دوام حصول مضمون الشَّرط، فيحصل الثّاني بحصول الأوَّل، فالأجر العظيم جزاء إرادة رضا الله ورسوله والدّار الآخرة، وقال بعضهم: إنَّ الجواب محذوفٌ، تقديره نحو: تُثَبْنَ، أو تَنَلْنَ خيرًا، وما ذُكِرَ دليله[2].

بلاغةُ التَّعبير بـ(إنّ):

تأكيدُ الأجرِ العظيم لأزواج النَّبيِّ الكريم

أُكِّدَ الكلام في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ بحرف التَّوكيد (إنّ)؛ تنزيلًا للمخاطَب غير المنكر

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 21/ 317.
(2) الآلوسي، روح المعاني: 11/ 179.

منزلةَ المنكر؛ إذا اقتضى السّياق التأكيدَ، فيؤكَّد له الكلام تأكيده للمنكر، وغير المنكر يشمل خالي الذّهن من الحكم، والمتردِّد، والعالم به من غير إنكار، ولكنَّه لا يعمل به[1]، فأكَّد الله سبحانه لأزواج النَّبيِّ ﷺ وعده بالثواب العظيم جزاء إحسانهنَّ.

دلالةُ التَّعبير باسم الجلالة ﴿ٱللَّهَ﴾:

عظمة العظيم في عدم إضاعة أجر المحسنين

أوثِرَ في قَوْله تَعالى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ التَّعبيرُ باسم الله الأعظم ﴿ٱللَّهَ﴾ الجامع لأسمائه الحسنى؛ تعظيمًا لحقِّ الألوهيَّة، وحَقيقةُ العَظَمَةِ مُخْتَصَّةٌ به وحده سبحانه، فَيُذْكرُ اسْمُ الجلالَةِ لإحضارِ المعْنى الجامعِ لِصفاتِ الكمالِ[2]، ومِن عظمته سبحانه في ألوهيَّته أنَّه لا يضيع أجر مَن أحسن عملًا، بل يعطيه الأجر العظيم والفضل العميم.

بلاغةُ التعبير بالإعداد في الآية:

تيقُّن إنجاز الوعد بما هو معدٌّ بالفعل

قال الله تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ بدل قوله: (فإنَّ للمحسنات أجرًا عظيمًا)؛ للدِّلالة على أنَّ الأجر الموعود به، موجود بالفعل، ومعدٌّ لأهله الذين يستحقّونه.

بلاغةُ التَّعبير بالفعل الماضي ﴿أَعَدَّ﴾:

صِدْقُ أخبارِ الله سبحانه وحتميَّة وقوعها

جاء الفعل ﴿أَعَدَّ﴾ الواقع في جملة جواب الشَّرط في قَوْله تَعالى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ بصيغة الماضي، بمعنى المضارع الدال على الاستقبال، والنُّكتة في التَّعبير به الدِّلالة على حتميَّة الوقوع حتّى كأنَّه وقع، ويخبر عنه ماضيًا[3].

بلاغةُ الإظهار بدل الإضمار:

حصولُ الأجر على قدر الإحسان والتَّفاوت فيه

عدل النَّظمُ القرآنيُّ في قَوْله تَعالى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ إلى التَّعبير بالاسم المظهر في قوله: ﴿أَعَدَّ

(1) عبد المتعال الصعيدي، بغية الإيضاح: 1/ 47.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 11/ 40.
(3) الآلوسي، روح المعاني: 11/ 179.

﴿لِلْمُحْسِنَٰتِ﴾ بدل المضمر: (أعدَّ لكنَّ)؛ تنبيهًا على الوصف الَّذي ترتَّب لهنَّ به الأجر العظيم، وهو الإحسان، كأنَّه قال: أعدَّ لكنَّ؛ لأنَّ مَن أراد الله ورسوله والدّار الآخرة؛ كان محسنًا، وكذلك لمّا كانت إرادتهن الله ورسوله والدار الآخرة مقتضية عملهن الصالحات، وكان ذلك العمل متفاوتًا، جعل الجزاء على ذلك بالإحسان؛ ليعلمنَ أنَّ هذا الأجر حاصل لهنَّ على قدر إحسانهنَّ، فهذا وجه ذكر وصف المحسنات، وليس هو للاحتراز[1].

دلالةُ اللّام في قوله: ﴿لِلْمُحْسِنَٰتِ﴾:

مـدحُ المحسنين وبيان علّة الأجر العظيم

دخلت (أل) الموصولة في قَوْله تَعالى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ على الاسم المشتقِّ (محسنات)؛ للتَّنبيه على ما في حيّز الصِّلة من الوصف والمدح به من أوَّل الأمر، والمقصود اللواتي أحسنَّ بطاعة الله ورسوله، ورجاء ثواب الآخرة، كما أنَّ إيثار الاسم الظّاهر (المحسنات) على جملة الصِّلة (اللواتي أحسنَّ)؛ لنكتة الدلالة على رسوخ الصفة في اسم الفاعل دون الفعل الدالِّ على الحدوث.

سرُّ التَّعبير بالمحسنات دون المؤمنات:

الإحسـانُ أرفـع درجـــة مـن الإيمان

عبَّر في قَوْله تَعالى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ﴾ بوصف الإحسان دون وصف الإيمان؛ حثًّا لأزواج النَّبيِّ ﷺ على السَّعي لأعلى المراتب وأزكاها، فالإحسان أرفعُ درجةً مِن الإيمان، فقد ورد في حديث جبريل عليه السلام لمّا سأل النبي ﷺ عن الإحسان؛ قال له النبي ﷺ: «أن تعبد الله كأنك تراه فإنْ لم تكُنْ تراه؛ فإنَّه يراك»[2].

دلالةُ تقديم الجارِّ والمجرور في قوله: ﴿لِلْمُحْسِنَٰتِ﴾:

اختصاص أزواج النَّبيِّ ﷺ بالأجر العظيم وقصره عليهنَّ

ورد في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾

(1) أبو حيان، البحر المحيط: 8/ 473، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 21/ 317.

(2) متفق عليه، رواه البخاري في الجامع الصحيح، الحديث رقم: (50)، ومسلم في صحيحه، الحديث رقم: (09).

تقديم الجارِّ والمجرور: ﴿لِلْمُحْسِنَٰتِ﴾ على المفعول: ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾؛ لنكتة بلاغية: وهي الاختصاص، فأئمَّة علم المعاني يجعلون التخصيص لازمًا للتقديم[1]، بمعنى اختصاص أزواج النَّبيِّ ﷺ بالأجر العظيم، أو لدلالة القصر، أي: أعدَّ للمحسنات منكنَّ دون غيركن أجرًا عظيمًا.

دلالةُ التَّعبير بـ(مِن):

البيان والوضوح

دلَّ حرف الجرِّ (من) في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ﴾ على البيان لا التَّبعيض باعتبار أنَّ أزواج النَّبيِّ ﷺ كلَّهن محسنات؛ لأنَّهن جميعًا – على المشهور – اخترن الله ورسوله والدّار الآخرة، وذكر بعضهم أنَّ إحدى زوجاته، وهي العامرية أو الحميرية قد اختارت قومها، فكانت بعدُ تقول: أنا الشَّقيَّة، فعلى هذا جعلوا (مِن) هنا للتبعيض، وهو ضعيف[2].

بلاغةُ تقديم الجار والمجرور على المفعول:

قصرُ الأجر العظيم على المحسنات من أزواج النَّبي دون غيرهن

في تقديم الجار والمجرور ﴿مِنكُنَّ﴾، بعد تقديم الجار والمجرور ﴿لِلْمُحْسِنَٰتِ﴾، قصر بعد تخصيص أو قصر، وفي كلٍّ ذلك تشويقٌ إلى المفعول المعدِّ، حيث ينتظر السّامع الشَّيء الذي أعدَّه الله لأزواج النَّبيِّ ﷺ، فيسمع ﴿لِلْمُحْسِنَٰتِ﴾، فيقول: ماذا أعدَّ لهنَّ؟ فيسمع ﴿مِنكُنَّ﴾، فيقول: ماذا أعدَّ الله لهنَّ؟ فإذا ما ازداد شوق السّامع إلى معرفة الشَّيء المعدِّ؛ أخبره الله بأنَّه الأجر العظيم.

دلالةُ التَّنكير في قوله: ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾:

تعظيمُ أجرِ أزواج النَّبيِّ ﷺ وتكثيره

جاء في قَوْله تَعالى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا﴾ لفظُ ﴿أَجْرًا﴾ نكرةً، والنُّكتة في تنكيره أنَّه يدلُّ على الإبهام، والإبهام له علاقة مباشرة بالتَّعظيم والتَّفخيم، فإنَّ من أراد أن يعظِّم شيئًا

(1) السَّكّاكي، مفتاح العلوم، ص: 233.

(2) الزمخشريّ، الكشّاف: 3/ 535، والبيضاويّ، أنوار التنزيل: 04/ 230، والآلوسي، روح المعاني: 11/ 178.

أبهمه بحيث لا يُكْتَنَهُ وصفه، وتذهب النَّفس فيه كلَّ مذهبٍ، فالتَّنكير هنا للمبالغة في تأكيد عظيم أجر أزواج النَّبيِّ ﷺ بإيثارهنَّ رضا الله ورسوله، كما يدلُّ التنكير بدلالة السّياق والتَّنكير معًا على حُسن هذا الأجر، في مقابل حسن صنيعهنَّ، وكثرة هذا الأجر وتنوُّعه ودوامه، كأنَّه قال: فإنَّ الله أعدَّ للمحسنات منكنَّ أجرًا كبيرًا كثيرًا حسنًا تقرُّ به العين، وتبتهج به النَّفس.

معنى وصف الأجر بالعظيم:

أجرُ الآخرة دائمٌ خالٍ مِن القبائح والمنغِّصات

وُصِفَ في قَوْله تَعالى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا﴾ الأجرُ بأنَّه عظيمٌ، والمقصود به الكبير في الذّات الحسن في الصفات الباقي في الأوقات، وذلك لأنَّ العظيم في الأجسام لا يطلق إلّا على الزائد في الطول وفي العرض وفي العمق، فإذا وجدت الأمور الثلاثة؛ قيل: عظيم، فيقال جبل عظيم؛ إذا كان عاليًا ممتدًّا في الجهات، فأجر الدُّنيا في ذاته قليل وفي صفاته غير خالٍ مِن القبائح والمنغِّصات، لما في مأكوله من الضَّرر والثقل، وكذلك في مشروبه وغيره من اللَّذات، وهو غير دائم، وأجر الآخرة كثير خالٍ من جهات القبح دائم، فهو عظيم[1].

سرُّ تقديمِ الجملة الشَّرطيَّة الأولى وتجريدها من الوعيد:

تحقيق معنى تخيير الأزواج والاحتراز عن شائبة الإكراه

يُلاحظ في سياق الآيات تقدُّمُ الجملة الشَّرطيَّة الأولى، وهي قَوْلُهُ تَعالى: ﴿إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا﴾، على الجملة الشَّرطيَّة الثّانية، وهي قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾، والنُّكتة في ذلك موافقة سبب النُّزول، وهو كون أزواج النَّبيِّ ﷺ سألنه شيئًا من متاع الدُّنيا، وكذلك يشير التَّقديم إلى أنَّ النَّبيَّ ﷺ غير ملتفتٍ إلى الدُّنيا ولذَّاتها غاية الالتفات، وفي وصف السَّراح بالجميل إشارة إلى ذلك أيضًا.

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 25/ 165.

وكذلك يُلاحظ تجريد الجملة الشَّرطيَّة الأولى عن الوعيد واقتران الثّانية بالوعد بالأجر العظيم؛ للتَّرهيب من الدُّنيا، فليست إلّا مجرَّد زينة لا وعد لصاحبها، بل أغلب من تخدعه بزينتها لا يخرج منها سالمًا، فضلًا عن أن يكون رابحًا، بل يخرج منها خاسرًا مغبونًا، وفيه أيضًا التَّرغيب في الآخرة، وعدًا بالأجر العظيم.

وقيل: إنَّ السَّبب في ذلك هو المبالغةُ في تحقيق معنى التَّخيير والاحتراز عن شائبة الإكراه، وهو أيضًا السِّرُّ في تقديم التَّمتيع على التَّسريح ووصف التَّسريح بالجميل[1].

(1) الآلوسيُّ، روح المعاني: 11/ 178.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الخامس والأربعون،
سورة الأحزاب من الآية 26 إلى سورة سَبإ الآية 12
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2025م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2025م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الخامس والأربعون، سورة الأحزاب من الآية 26 إلى سورة سَبإ الآية 12
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 45 ، 804 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-98-3
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 45 : المجلد الخامس والأربعون، سورة الأحزاب من الآية 26 إلى سورة سَبإ الآية 12.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-98-3
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9766833 بتاريخ 2025/01/14م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»